

ناجي علوش ومثير شفيق : دفاعا عن النفس ودفاعا عن الثورة

في مجال كشفنا للظواهر السلبية التي برزت واضحة في كتاب « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ولجموعه المناقشات الدائرة حوله ، لاحظنا ان الدفاع عن الذات قد احتل حيزا كبيرا نسبيا على حساب مناقشة الموضوعات الهامة التي طرحها الدكتور صادق ، ففي الدراسة التي كتبها ناجي علوش بعنوان : [« دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » : حل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟] نلاحظ ان حيزا لافتا للنظر قد خصص فقط لكشف التلاعب الذي فعله الدكتور صادق بنبوص ناجي علوش ، والحيز المتبقي قد خصص تقريبا للرد على الموضوعات المتعلقة بناجي مباشرة بينما أهملت نتيجة ذلك موضوعات هامة جدا كان على ناجي مناقشتها .

أما رد مثير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » فقد بدا أنه قد تجاوز هذه السلبية على الأقل في الصفحات الثمانين الأولى من كتابه (١٩٠ صفحة) الا انه لا يلبث ان يغرق في تفاصيل غير هامة تتعلق ايضا بآثار التلاعب بالنصوص التي أوردها الدكتور صادق او بمناقشة مسائل ثانوية تتعلق بمثير مباشرة . وعلى حساب مناقشة القضايا الأكثر أهمية والتي مر على بعضها مرورا سريعا بينما أهمل البعض الآخر ، الا ان الردين قد أجابا بحسم ووضوح على معظم المسائل الأساسية في الكتاب وكشفا الدور الخطر والمخرب الذي قام به الدكتور صادق . واذا كانت مقالة ناجي القصيرة نسبيا في « شؤون فلسطينية » تشفع له بعدم مناقشة كافة القضايا ، فاننا عند مثير شفيق يجب ان نتوقف قليلا لنكشف ظاهرة سلبية تتعلق أيضا بأساس عملية الجدل والحوار الدائرة الآن ، خاصة وانه قد أفرد كتابا كاملا لهذا الغرض .

صحيح ان الدفاع عن النفس حق مشروع في كافة الاعراف والمجالات وصحيح ان الدفاع عن الذات هنا هو بمعنى ما دفاع عن الثورة وأفكارها ، وهذا ما فعله ناجي ومثير بجدارة تامة ، الا اننا في القضايا الفكرية والسياسية كما نتهم ان نجد الصورة العامة للنقاش بشكل أفضل :

أولا : على الرغم من تأكيدات مثير شفيق المستمرة

بمنهجية الحوار ومنهجية التفكير كذلك . كيف ؟ ان أي قارئ محايد يتناول كتاب الدكتور العظم (لا ننسى ان كلمة دكتور وحدها لها إيتاع ورئين في نفوس شعبنا تمنح صاحبها ما يمكن ان نسميه بالثقة الأكاديمية ، كما ان صادق جلال العظم اصبح اسما معروفا لدى جمهرة الناس حتى لأولئك الذين لم يقرأوا له شيئا ، مما يجعلهم أميل الى تصديقه وعدم الشك بالنصوص التي يوردها) لا يكون بالضرورة قد قرأ او حفظ الاستشهادات الاصلية كاملة ، ولهذا فسيقبل كلام الدكتور العظم ككلام ثقة ويبني عليه احكامه وتقييماته وهذا يقوده بالطبع — بعد ان ثبت تلاعب الدكتور صادق بالنصوص — الى نتائج واحكام خاطئة ومضللة سواء بالنسبة للأفكار التي يناقشها او الأشخاص الذين يتقدمهم . هذه الظاهرة السلبية الأولى المتعلقة بمنهجية الحوار تقود الى ظاهرة أخطر وهي عدم ثقة القارئ بعد اكتشافه لهذه الحقيقة بكل ما يقرأ بعد ذلك من دراسات حتى لو وقعها سبعة دكاترة مشهورين مثل العظم .

غير ان هذه الظاهرة السلبية على خطورتها الشديدة (أخلاقيا ومنهجيا) تظل أقل خطرا وأهمية ، لان الخلل الاساسي هو في منهجية التفكير الذي يقف وراء هذه الحوارات والنقد . لقد ثبت ان مقولة « التحليل المموس للواقع المموس » والتي لا يتعب المركسيون والمتركسون من استعمالها لا تعني شيئا عند الدكتور صادق فلقد قاده المنحى والاتجاه الخاطيء في التحليل الى مثل هذه « الفضيحة الفكرية والأخلاقية » فهو من أجل اثبات فكرة مسبقة في رأسه مفادها « ان البرجوازية الصغيرة قد سقطت بعد أن سقطت قياداتها وبرامجها وسياساتها وممارساتها » راح يجمع من هنا وهناك كل ما يدعم ويؤيد فكرته المسبقة من تصريحات وأحاديث ومقالات وممارسات دون ان يستشعر لحظة واحدة من الحرج عما يفعله من تخريب وتشويه وتلفيق واجتزاء وقطع وجعب واضافة ، كيفما اتفق وشاء بما يجمعه من نصوص واستشهادات ، ودون ان ينتبه وسط هذه الفوضى العلبية — وهذا هو المضحك — الى المناقشات الفاتحة التي وقع فيها .

لقد كان ذلك اساس الخلل في موضوعات الدكتور صادق ، لانه اساس الخلل في منهجيته وتفكيره وهنا بالضبط فضيحته ومأساته .